صرخة وراء السور الحديدي

جامعة عربية أم اتحاد فرنسي ؟

للأستاذ عبد الهادي الشرايبي

يتحدث الرأي العام الفرنسي حكومة وشعبا ، في صحفه ومجتمعاته عن الاتحاد الفرنسي الذي أحدثه الدستور الجديد(١) وحار في كيفية تطبيقه على بلدان ما وراء البحار . كأنما يحاول بذلك أن يسدل الستار على تاريخ الاستعمار القاتم المظلم ، ليبدله بلون آخر قد يكون أشد هولا . وأشنع عاقبة .

إن نقطة الضعف في هذا القرار هي أنه لم يحترم إرادة هذه الشعوب ، ولم يستشرها ليأخذ رأيها بالموافقة أو الرفض ، حتى إذا شرع في تطبيقه كان مبنيا على أساس متين ، واستطاع أن يؤتي ثماره الطلوبة . على أن الحكومة الفرنسية ، فيما يظهر ، كانت أعمق تفكيرا ، فلم تقدم على اتخاذ هذا القرار إلا بعد أن خبرت الرأي العام في هذه البلاد ، وخرجت مقتنعة بغرام شعوبها بالحكم الفرنسي ، وهيامها بكل ما تقدمه إليها الدولة الفرنسية ، وما «تضحي» به في سبيل سعادتها وتطورها من مال ورجال وعتاد !

أما الشعب المغربي فإنه بدوره يزداد كل يوم إيمانا بفوائد هذا « الاتحاد الفرنسي » وما سيجره إليه في مستقبل الأيام من خير ورفاهية ونعيم . خصوصا بعد « حوادث الدار البيضاء » التي تركت ألسنة الناس تسبح بحمد الإدارة الفرنسية ، وحسن تصرفها ، وسداد موقفها ! ! فقد فتحت هذه الحوادث الأعين ، وعرفت الناس مزايا الدخول في «الاتحاد الفرنسي» عن طيب خاطر ، وأنهم سيعيشون في عهده في ظلال الأمن والطمأنينة والسعادة والسلام! إن هذا الحدث الجديد الذي راد ربط مصير نابه ، يتطلب منا أن نقف عنده قليلا ، ونتدبره على ضوء التفكير السليم ، والمنطق الصحيح . فالشعب المغربي ، ككثير من الشعوب

(١) (الرسالة) : جاء في المادة الثانية من دستور الجمهورية الفرنسية الرابعة عن الاتحاد الفرنسي ما نصه : «يتكون الاتحاد الفرنسي من الجمهورية الفرنسية المشتملة على فرنسا ذاتها والمقاطعات والأراضي فيما وراء البحار من جهة ، أو من الأراضي والدول الشريكة في الاتحاد من جهة أخرى» .

انقسم النادي إلى أندية عدة ظهرت باسم «الرابطة الموسيقية» و«دار الألحان والتمثيل» و «المعهد الموسيقي» و«دار الموسيقى الوطنية» و«معهد الآداب والفنون» و«ندوة أصدقاء الفنون» بيد أن هذه الأندية جميعاً لم تؤلف فيما بينها وحدة فنية عامة ، فأعضاؤها على كثرتهم ، من الهواة الذين تخذوا الفن أهبة خاصة ، وقد سعى الكثيرون من الذين يغارون على هذا الفن ، إلى توحيد هذه الأندية فما قدر أحد منهم على ذلك ، ولذا أخذت هذه الأندية تنحل الواحد إثر الآخر بسبب الضائقة المالية ، ولم يبق منها ثابتاً قوياً إلا الأقل ، وانقلب بعضها إلى دور للعب الورق والنرد وغيرها من ألعاب المقاهي ، ولو أن أولي الأمر مدوا يد العون لهذه الأندية وساعدوها بالمال والرجال لعاشت في تقدم وازدهار ولضارعت بنهضتها أندية العالم الكبرى ، لأن مواهب رجال الفن عندنا مشهود لها بالسمو والقوة ، وقد زادت قوة في هذا العهد الاستقلالي الجديد بعد أن ذهب الأجنبي عنا لا رده الله ، ومما يسرنا اليوم أن نرى القائمين على محطة الاذاعة في دمشق قد افتتحوا مدرسة فنية لتعليم ناشئة البلاد النوتة الموسيقية على أحدث الطرق ، وإحياء موات الموسيقى القديمة والموشحات الأندلسية الرائعة ، وتعاقدت مع أساطين الفن في دمشق وحلب الذين يندر وجود مثلهم في الأقطار العربية الشقيقة ، وكل من ينبغ من طلاب هذه المدرسة يؤخذ فوراً إلى محطة الإذاعة ليذيع منها فنه ويظهر مواهبه ، وهذا مما يبعث على التنافس الحميد بين الطلاب ، ونحن نرجو أن تعيد دمشق مجد الأندلسيين الزاهر في مختلف الضروب الموسيقية والأصوات والأنغام ، والرقص المسمى رقص « السماح » وبعل هذه النهضة عندنا هو نائب دمشق السيد فخري البارودي الذي يشتغل اليوم في وضع مؤلف قيم شامل في الموسيقى العربية ، ومدير الاذاعة الفنان السيد شفيق شبيب ، والمدير العام الشاعر المعروف الأستاذ سليم الزركلي . وحبذا لو أن محطة الاذاعة فاوضت الأستاذ توفيق الصباغ نابغة « الكمان » لا في سورية وحدها بل في الشرق العربي كله ، وهو الذي عرفته مصر في المؤتمر الموسيقي الذي انعقد في عهد جلالة الملك فؤاد رحمه الله . وكان جلالته معجباً بمواهب الأستاذ ، فالأمم لا تنهض إلا إذا قدرت نابغيها حق قدرهم وأحلتهم المنازل اللائقة بهم .

دمشق — معين كنعان

الإسلامية العربية التي أريد لها أن تسمى « شعوب فرنسا ما وراء البحار » هو الآن في مفترق الطريق . وأمامه : أن يختار الانضمام إلى جامعة دوله العربية ، أو الاندماج في « الاتحاد الفرنسي » وشعوب فرنسا ما وراء البحار .

أما جامعة الدول العربية فتربطنا بها ، أو تربطها بنا ، روابط متينة راسخة الاعراق والأصول ، روابط كونتها مختلف العوامل النفسية ، والتاريخية ، والجغرافية ، على ممر العصور والأحقاب وجمعتنا بها عوامل لا انفصام لها ، ولا يمكن أن تعمل فيها يد الدهر ، مهما كانت قاسية : فالدين واحد ، وهو الذي جمع الهندي والمغربي والصيني واليوغوسلافي في صعيد واحد ، وهو الذي وجههم جميعاً إلى قبلة واحدة ، ووحدهم في عقيدة واحدة . والتاريخ قد جمعنا في البأســـاء والسراء ، فتنعمنا بأيام عزه وازدهاره ، كما تحملنا آلامه واقتسمنا مراثره وشدائده .

أما الوضع الجغرافي فإنما هو سلسلة واحدة متصلة الحلقات أبدعتها يد الإله متماسكة البناء . ممتدة من ضفاف البحر الأحمر إلى شواطىء المحيط الأطلسي ، وهي وضعية اقتصادية وسياسية ممتازة قلما ظفرت بها أمة من أمم الأرض .

أما العوامل النفسية التي كونها القرآن ، ومتنت عراها تعاليم الإسلام ، وصهرتها حوادث الأيام ، فاننا نلمس آثارها في كل يوم ، ونشاهد نتائجها عند كل حادث . فوقائع فلسطين ، ومعارك الهند الصيني والهند الهولاندية ، تدمي قلوب المغاربة ، كحوادث المغرب ، والدار البيضاء ، عند شعوب الشرق الأدنى والأقصى . وقد نشأ عن هذه العوامل الكثيرة المختلفة ، عوامل سياسية ربطت مصير الأمم العربية بعضها ببعض ، وجعلت سعادة البعض منها متوقفة على سعادة الكل ، بحيث لا يطمئن لاحداها خاطر ، ولا يقر لها قرار ، مهما نالت من أسباب السيادة والعزة ، إذا كان البعض الآخر لا يزال أنينه يتردد صداه في أنحاء المعمورة ، تحت وطأة الاستعمار الثقيلة .

هذه طائفة من الأسباب التي تربطنا بجامعة الأمم العربية ، وتجعل مصيرنا مرتبطاً بمصير أخواننا الشقيقات ، بلاد الشرق العزيزة ، فلنلق الآن نظرة أخرى على ما يمكن أن يربطنا بالاتحاد الفرنسي من أسباب وما يمكن أن يجمعنا به من علائق ومصالح .

أما صلاتنا بهذا الاتحاد ، أو بالأحرى ، بالدولة المبتكرة له ، فتبتدىء منذ نيف وثلاثين سنة . وإن نظرة عجلى على هذه الفترة من تاريخنا القوى كافية لبيان ماهية هذا الاتحاد ، وشرح الأسس التي يراد بناؤه عليها . فهي فترة مهولة ، مليئة بالنار والدم والحديد ، وبمعارك وحروب ، وسجون ومنافٍ ، وأنواع من الارهاق والسفف ، لم يشهد لها التاريخ مثيلا حتى في العصور التي تسمى « مظلمة » !

هذه نظرة قصيرة على كلا الاتجاهين ، وعلى الطريقين المفتوحين أمامنا . فما الذي يختاره الشعب المغربي من ذلك : سبيل « الجامعة العربية » أم سبيل « الاتحاد الفرنسي » الجديد ؟

لقد تفضل جلالة مولانا الملك ، ترجمان الأمة الصادق ، ولسانها الناطق ، فأجاب عن هذا السؤال الذي يختلج في صدر كل مغربي ، وقلب كل عربي ، في تصريحه الأخير لرجال الصحافة ، قبيل مغادرته لمدينة طنجة . قال جلالة الملك المحبوب :

« ... ومن جهة أخرى ، فإن المغرب يحرص أشد الحرص على تمتين صلات الود مع جميع البلاد التي حاربت من أجل الحرية ، ولا تزال تواصل الكفاح في سبيل نجاح قضيتها . ان المغرب ليأمل بكل ما أوتي من قوة ، أن ينال حقوقه كاملة . ومن الواضح الجلي أن المغرب بلد عربي ، مرتبط مع بقية بلاد الشرق العربي بروابط قوية متينة ، وإنه يرغب في أن تتقوى هذه الروابط يوما بعد يوم ، خصوصاً منذ أن أصبحت « الجامعة العربية » مؤسسة تلعب دوراً هاما في السياسة العالمية . وإننا لمقتنعون بأن الصلات الثقافية ستساهم بقسط وافر في تحقيق هذا الاتحاد . وهذه هي الأسباب التي تحدو بنا إلى إنشاء مؤسسات للتعليم العالي لإنارة عقول الشعب المغربي ، تكون برامجها مستمدة من برامج التعليم في جامعات القاهرة والشام ولبنان والعراق .

إن همنا الأكبر منذ اعتلائنا العرش المغربي هو أن نمنح رعايانا نعمة التمتع بالحقوق الديموقراطية التي يصبون إليها . وإن أملنا اقوى في الحصول على هدفنا الأسمى الذي سنواصل السعي لإدراكه »

هذه تصريحات جلالة الملك المفدى لرجال الصحافة الأجنبية . وهي كما ترى — قد حددت الاتجاه ، وكانت القول الفصل في هذه المسألة التي أثارت مخاوف وشكوكا ، سرعان ما انقشعت وتبخرت في مهاب الرياح . فما على شعبنا العزيز ، إلا أن يقتفي الطريق التي اختطها له جلالة العاهل العظيم ، والرائد الخبير ، ويسير على النهج الذي سنه له . واضح المعالم ، موفق الخطى .

المغرب الأقصى — عبد الهادي الشرايبي